

نصرت عبد الرحمن

(١٣٥٣ - ١٤٢١ هـ = ١٩٣٤ - ٢٠٠٠ م)

سيرة عالم وأديب

غاب عن ست وستين عاماً*

بقلم: أ. د. فهمي توفيق محمد مقبل

أستاذ (غير متفرغ)

كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية، جامعة البترا

توطئة:-

عندما أبحث عن أهم الشخصيات الفكرية الأدبية اللغوية الثقافية الأردنية، التي أثرت حياتنا العلمية الأكاديمية، في النصف الثاني من القرن العشرين، أجد قامة شامخة تطاول السحاب، شخصية أثيرة، تتسم بالتعقل والحكمة، صقلتها التجارب بجلوها ومرها، فتميزت بخبراتها المعرفية والأدبية العميقة، شخصية أكاديمية مرموقة، ذاع صيتها، واشتهرت في بحوثها ودراساتها العلمية الجادة، التي زاوجت بين الأصالة والمعاصرة، على نحو منهجي موضوعي علمي جديد، يكاد لا يشرك معه منهجا يماثله في تاريخنا المعاصر، على الصعد العلمية الأكاديمية كافة.

أعني هنا أحاً حبيباً، معلماً ومربياً عظيماً، وأستاذاً جامعياً مرموقاً قديراً متضلعاً، في حقل الأدب واللغة خاصة، وهو في الوقت نفسه، جمع بين العلم والإيمان، فكان لساناً صادقاً، ومؤمناً صالحاً، مدرسة كبيرة في الوطنية ومكارم الأخلاق يحتذى، وعلماً من أعلام الباحثين، الذين أثروا مكتبتنا العربية بنفس المؤلفات غير المسبوقة، التي تناولت فنون الأدب العربي في مختلف العصور - ما قبل الإسلام خاصة - إنه العالم الجليل الأستاذ الدكتور نصرت صالح عبد الرحمن ناصر، الشهير باسم نصرت عبد الرحمن (يرحمه الله).

* بحث نشر ضمن بحوث أخرى، في كتاب نصرت عبد الرحمن، إنساناً، باحثاً، مبدعاً، أعمال الحفل التكريمي الذي أقامه قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة البترا وفاء للمرحوم أ. د. نصرت عبد الرحمن يوم (٢٠٠٩/١٢/٣م) منشورات جامعة البترا، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، طبع بمطبعة الأصيل، عمان، ٢٠١١م.

السيرة والمسيرة:-

المولد والنشأة:-

ولد نصرت عبد الرحمن (أبو صلاح) (يرحمه الله) في فلسطين (في مدينة الناصرة على وجه التحديد) يوم الثلاثاء (٧ رجب ١٣٥٣هـ = ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٤م) لأبوين صالحين، وقد نشأ يتيماً حيث توفي عنه والده، وهو في الخامسة من عمره. تعود جذوره الأسرية العائلية الأوسع إلى قرية السنديانة، من أعمال مدينة حيفا، وهو سليل أسرة آل ناصر المتفرعة فخذاً وحسباً ونسباً من عائلة (آل مقبل) وهي أسرة مسلمة سنية، تفخر بأصولها العربية الإسلامية الأصيلة، من رحمها جاء صفوة من العلماء الفقهاء، والمفكرين الحكماء، والأحرار الشرفاء.

وبما أن الشيء من معدنه لا يستغرب، فإن عناية الله قيضت له أمماً رؤوماً (أم أديب) (ت ١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م) فكانت له مدرسة من الحكمة، وأخاً أكبر رحيماً، كريماً، شهماً اسمه (أديب) وله من اسمه نصيب (١٣٤٠ - ١٣٩٩هـ = ١٩٢٢ - ١٩٧٩م) وقف حياته مادياً ومعنوياً من أجل تحقيق طموحات أخيه نصرت النبيلة وتطلعاته، وبقيا (الأم والأخ) (يرحمهما الله) حتى الرمق الأخير من حياتهما الداعم الرئيس لمسيرة حياته الدراسية والعملية، حتى حصل على أعلى الدرجات العلمية، وحقق ما حقق من مكانة علمية وأدبية وأكاديمية رفيعة.

تحت وطأة المذابح والجرائم والغدر البريطاني الصهيوني، التي نجم عنها قرار تقسيم فلسطين الجائر سنة (١٣٦٦هـ = ١٩٤٧م) من ثم وقوع النكبة الكبرى سنة (١٣٦٧هـ = ١٩٤٨م) رحل نصرت عن قريته السنديانة برفقة أسرته، يصاحبهم بعض من عائلته الأقربين إلى مدينة طولكرم لكنه ما لبث في العام (١٣٦٩هـ = ١٩٥٠م) أن انضم وأسرته إلى جموع المهاجرين الذين يعموا وجوههم شطر بلد الأنصار (الأردن) ليتخذ وأهله من مدينة إربد سكناً ومجتمعاً وبيئةً، وطدتها حياة مفعمة بالحراك الإنساني الاجتماعي الريادي، والثقافي الفكري الإبداعي الخلاق.

اقترن في العام (١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م) بالسيدة الجليلة سوسن أحمد البكري، فشكل اقترانه بها منعطفاً تاريخياً، كان من أعظم محطات حياته على الصعيد كافة، لتسهم هذه الزوجة الوفية الحكيمة بقدر كبير في صياغة هذه الشخصية الأدبية العبقريّة الفذة، حقاً وراء كل رجل عظيم امرأة عظيمة. وقد رزق من هذه الزوجة الصالحة بأربعة أبناء (ابنان وابتنان) تخرجوا جميعهم من الجامعة الأردنية، ومتزوجون ابنه البكر د. صلاح (بكالوريوس طب) وأكمل دراساته العليا في الولايات المتحدة الأمريكية، وما زال مقيماً فيها ويعمل في مستشفياتها طبيباً في ميدان تخصصه برتبة (بروفيسور) أستاذ دكتور. والثاني المهندس رامي (بكالوريوس هندسة معمارية) يشغل الآن وظيفة مهندس معماري في المملكة العربية السعودية. أما الابنة

سحر (بكالوريوس وماجستير محاماة) تشغل الآن وظيفة محامية في إحدى المؤسسات المرموقة بدولة الإمارات العربية المتحدة. والابنة الثانية رشا (بكالوريوس لغة فرنسية) تشغل منصب مديرة الموارد البشرية في شركة كبرى في الإمارات العربية المتحدة. وقد عرف عن أبنائه السمعة الكريمة، من علوم نافعة، وأخلاق عالية، وفضائل سامية.

السيرة الدراسية:-

أتم نصرت تعليمه الابتدائي، وبدايات المرحلة الإعدادية في قرينته الوادعة الجميلة السنديانة ما بين الأعوام (١٣٥٩ - ١٣٦٧هـ = ١٩٤٠ - ١٩٤٨م).

مع وقوع النكبة وضياع قرينته الحبيبة الصغيرة الكبيرة، مع جزءٍ غالٍ من وطنه فلسطين، رحل وأسرته وبعض من عائلته الأقربين إلى مدينة طولكرم ليستأنف في مدارسها ما تبقى له من دراسته الإعدادية، وبدايات المرحلة الأولى من الثانوية العامة الأردنية. كانت نتائجه على الدوام - في جميع سنواته الدراسية هذه - تُبرز اسمه من أوائل الطلبة المتفوقين.

واصل نصرت دراسته للثانوية العامة الأردنية (المترك) في مدينة إربد، بعد أن استقر له ولأسرته المقام فيها، وذلك ما بين الأعوام (١٣٦٧ - ١٣٧٢هـ = ١٩٤٨ - ١٩٥٣م) حيث حصل على شهادة الثانوية العامة الأردنية (المترك) في العام (١٣٧١هـ - ١٩٥٣م) وكان من بين الطلاب العشرة الأوائل على مستوى الأردن. وقد أهلته هذه النتيجة المشرفة الحصول على منحة دراسية، حيث ابتعث إلى مصر للدراسة في جامعة القاهرة، تخصص (لغة عربية) وكانت مصر تشترط وقتئذٍ لقبول طلاب العلم في جامعاتها، جامعة القاهرة خاصة، الحصول على الثانوية العامة المصرية، فتقدم إلى امتحان الثانوية العامة المصرية لينالها بنجاح مرتفع في العام (١٣٧٣هـ = ١٩٥٤م).

بعد حصوله على شهادتي الثانوية الأردنية (المترك) والثانوية العامة المصرية، انطلق بقوة صعوداً إلى قمم شهادات الدراسات العليا، ليواصل من مصر بثبات، ومن جامعة القاهرة نفسها مسيرته الدراسية الناجحة الموفقة، وكانت أولى خطواته الناجحة في هذا الاتجاه نبهه درجة الليسانس في الآداب من جامعة القاهرة، في العام (١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م).

بعد سنوات حافلة بالأعمال والإنجازات، وعلى مدى تسع سنوات (١٣٧٧ - ١٣٨٦هـ = ١٩٥٨ - ١٩٦٧م) عمل خلالها في التدريس، معلماً مريباً وأديباً أريباً في مدارس دولتي قطر وليبيا الثانوية للبنين والبنات، ترك فيها آثاراً علمية وتربوية وإدارية لا تنسى. في الحقيقة، كانت هذه السنوات التسع ضرورية - للتزود بالذخيرة المادية اللازمة - لإكمال مسيرة مستقبله العلمية الطموحة، التي توجهها في

النهاية بأعلى الدرجات العلمية في اللغة تخصص أدب ونقد. وفي سبيل تحقيق طموحاته المستقبلية تلك عاد مواصلة مسيرته العلمية متفرغاً في العام (١٣٨٦هـ = ١٩٦٧م) للدراسات العليا، وكان أول حصاد السنين الدراسية العليا، نيله درجة الماجستير في الأدب العربي في العام (١٣٨٩هـ = ١٩٧٠م) بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، وعنوانها: "شعر الصراع مع الروم في العصر العباسي حتى نهاية إمارة حلب"، وقد أوصلت لجنة المناقشة بطباعة الرسالة ونشرها.

لم يكتف د. نصرت بهذه الدرجة العلمية، فبقي في القاهرة مثابراً صابراً دارساً لتحقيق هدفه العلمي الأكبر سعياً لنيل درجة الدكتوراه، وهي الدرجة التي نالها في النهاية العام (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م) تخصص (أدب ونقد) بتقدير ممتاز مع درجة الشرف الأولى، وعنوانها: "الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث". وقد أوصلت لجنة المناقشة بطباعة الرسالة ونشرها، وقد أشاد بها النقاد وأهل الاختصاص، وأعدوها واحدة من أفضل الرسائل التي قدمت في جامعة القاهرة في هذا الحقل، فضلاً عن كونها إضافة علمية خليقة بالتصنيف كمرجع رفيع المستوى يعتمد عليه الباحثون والدارسون في حقل الشعر والأدب (القديم) الجاهلي بخاصة.

يقول غسان عبد الخالق في هذا السياق: "إن الباحثين الذين يعموا ببحوثهم شطر الشعر الجاهلي كثر، ولكن الدكتور نصرت عبد الرحمن كان من النخبة التي نأت بالشعر الجاهلي والحياة الجاهلية عن التفسير الساذج وترديد المتداول من الروايات والأخبار وملازمة الشاطيء الآمن، وارتقت بالشعر الجاهلي والحياة الجاهلية إلى مستوى التساؤل والنظر والتحليل والاجتهاد، وإلى مستوى الرمز والتجديد المغتربين بالأفكار والتأملات والرؤى، ولأن دروس د. نصرت في النقد القديم والحديث لم تخلُ أبداً من ذلك الحضور الكثيف للمعتزلة والأشاعرة، للجاحظ والباقلاني وعبد الجبار وعبد القاهر، وابن رشد وهيجل ونييتشه وسارتر، فإن من الغبن أن تمر جهوده دون وقفة فاحصة متأنية." (١)

يقول حبيب الزبيدي في هذا السياق أيضاً: "يمكن النظر إلى مؤلفات الدكتور نصرت عبد الرحمن في الأدب الجاهلي، التي تجاوزت في تأثيرها ساحتها المحلية، وامتدت إلى العالم العربي، باعتبارها إضافات مهمة إلى النقد العربي في دراسة الأدب القديم، حيث كانت هذه المؤلفات تشكل ريادة في تقديم المنهج الأسطوري في دراسة الشعر الجاهلي وأثرت مؤلفات صاحبها في الكثير من الباحثين العرب ودُرست في معظم الجامعات العربية." (٢)

(١) أنظر تيسير النجار، "صفحات مطوية من الأدب الأردني - د. نصرت عبد الرحمن (١٩٣٤-٢٠٠٠م) سيرة وقصائد له

تنشر لأول مرة"، في فيلادلفيا الثقافية (مجلة) العدد السابع، أيار ٢٠٠٢م، عمان، ص ١٨-١٩.

(٢) النجار، المرجع نفسه، ص ١٨-١٩.

السيرة الوظيفية:-

التدرج الوظيفي (قبل الدكتوراه):

في العام (١٣٧٧هـ = ١٩٥٨م) عاد نصرت من مصر إلى الأردن بعد حصوله على درجة الليسانس في الأدب العربي، ليشغل فور وصوله ولمدة ثلاث سنوات (١٣٧٧-١٣٨١هـ = ١٩٥٨-١٩٦١م) وظيفة مدرس للغة العربية في مدرسة إربد الثانوية. ليعين في العام (١٣٨٢هـ = ١٩٦٢م) محاضراً في معهد حوارة لإعداد المعلمين بمدينة إربد، وفي الفترة ما بين (١٣٨٢-١٣٨٧هـ = ١٩٦٢-١٩٦٧م) عمل ولمدة خمس سنوات في الدوحة عاصمة دولة قطر مدرساً للغة العربية في مدرسة قطر الثانوية، كما كان يشغل وفي الوقت نفسه، وظيفة مدير مدرسة خالد بن الوليد الثانوية في الدوحة نفسها. في العام (١٣٨٧-١٣٨٨هـ = ١٩٦٧-١٩٦٨م) غادر قطر متوجهاً إلى (ليبيا) ليشغل في هذا العام هناك، ولمدة سنة واحدة وظيفة مدرس أول في مدرسة البنات الثانوية في مدينة بنغازي.

وفي صيف هذا العام نفسه (١٣٨٨هـ = ١٩٦٨م) سعى للالتحاق ببرنامج الدراسات العليا بجامعة القاهرة، ليتفرغ للدراسة كلياً في السنوات (١٣٨٨-١٣٩٢هـ = ١٩٦٨-١٩٧٢م) بهدف الحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه، فالتحق بجامعة القاهرة لتحقيق هذا الانجاز العلمي الكبير، وكان له ما أراد.

التدرج الوظيفي (بعد الدكتوراه):

بعد حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة العام (١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م) عاد د. نصرت إلى بلده الأردن، لبدأ سيرة ومسيرة جديدة نحو مستقبل وحياة استثنائية واعدة، مفعمة بالرؤى العلمية والفكرية الخلاقة، ورسم الأهداف والمقاصد الخيرة النبيلة، من أجل إعداد جيل مثقف واع، متميز فكراً وحضارة. ومهد له تعيينه - عند وصوله من مصر- في العام الدراسي (١٣٩٢-١٣٩٣هـ = ١٩٧٢-١٩٧٣م) مدرساً في معهد حوارة لإعداد المعلمين بمدينة إربد، الطريق لتحقيق هذه التطلعات، وما هي إلا سنة واحدة في معهد حوارة (إربد) حتى حقق قفزة نوعية أوصلته إلى رحاب الجامعة الأردنية، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها، لبدأ مشواره العلمي الطويل منذ العام (١٣٩٣هـ = ١٩٧٣م) وحتى وفاته (يرحمه الله) عام (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) حيث أصبح - بلا منازع - نجماً ساطعاً في سماء الجامعة الأردنية يُرى عن قرب و عن بُعد وصانعاً للنجوم فيها.

عُين د. نصرت عند أول خطواته التدريسية في الجامعة الأردنية على وظيفة محاضر، في العام الجامعي (١٣٩٣-١٣٩٤هـ = ١٩٧٣-١٩٧٤م) وعلى أٌسس أكاديمية من سمعة علمية بحثية وإدارية وشخصية

فاضلة جلييلة، ترقى إلى مرتبة أستاذ مساعد، في العام (١٣٩٤هـ = ١٩٧٤م) ثم إلى أستاذ مشارك في العام (١٤٠٠هـ = ١٩٨٠م) من ثم كَلَّهَا بحصوله على مرتبة الأستاذية، في العام (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م).

المناصب الأكاديمية والأنشطة العلمية (خدمة المجتمع):

تقلد د. نصرت خلال مسيرته الأكاديمية مناصب إدارية رفيعة، فضلاً عن رئاسته وعضويته للجان علمية وثيقة الصلة بخدمة المجتمع، أما على صعيد المناصب الإدارية فكان أبرزها ترؤسه لقسم اللغة العربية بالجامعة الأردنية لمدة سنتين (١٤٠٩ - ١٤١١هـ = ١٩٨٩ - ١٩٩١م) أما على صعيد الأنشطة العلمية والثقافية (خدمة المجتمع) فقد شغل رئاسة وعضوية لجان هامة في الفترة ما بين (١٤٠٦ - ١٤٢١هـ = ١٩٨٦ - ٢٠٠٠م) أبرزها رئيس الفريق الوطني للغة العربية في وزارة التعليم، كما شارك في إعداد مجموعة من الكتب الدراسية لمادة اللغة العربية، المعتمدة من وزارة التعليم الأردنية، إلى جانب عضويته في الهيئات العلمية الاستشارية، منها على سبيل المثال لا الحصر: (١) موسوعة الحضارة الإسلامية التي تصدر عن مؤسسة آل البيت (٢) المجلة الثقافية التي تصدر عن الجامعة الأردنية (٣) ومجلة هدي الإسلام.

إجازات التفرغ العلمي:-

حصل د. نصرت بعد حصوله على الأستاذية في العام (١٤٠٦هـ = ١٩٨٦م) وحتى وفاته (يرحمه الله) العام (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م) على إجازتي تفرغ علمي (أستاذ زائر) استضافته فيهما جامعتان معتبرتان، الأولى الجامعة الإسلامية العالمية، كوالامبور، دولة ماليزيا الاتحادية، في العام الجامعي (١٤١٤/١٤١٥هـ = ١٩٩٣/١٩٩٤م) والثانية كانت في جامعة البترا، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، في العام الجامعي (١٤١٩/١٤٢٠هـ = ١٩٩٨/١٩٩٩م).

الأعمال العلمية المحكّمة المنشورة:-

ترك د. نصرت أعمالاً علمية قيمة، يعدها أهل الاختصاص في الأدب والنقد واللغة من أبرز المصادر العلمية الموثوقة، التي تروي ظمأ الدارسين والباحثين والمهتمين في هذا الحقل على مختلف مشاربهم الأدبية، من أهمها المؤلفات التالية:-

(أ) البحوث:

— "المطر مواضع وروده في جانب من الشعر الجاهلي"، في دراسات (مجلة) المجلد ٦، العدد ٢، الجامعة الأردنية، ١٩٧٩م.

— "سيدة المطر في شعر أبي ذؤيب الهذلي"، في دراسات (مجلة) المجلد ٧، العدد ١، الجامعة الأردنية، ١٩٨٠م.

— "حول دلالة (عمر) في القسم والدعاء في الشعر الجاهلي"، في مجمع اللّغة العربية الأردني (مجلة) العدد ١٩، ١٩٨٣م.

— "دلالة (أدب) في اللّغة العربية"، في الشجرة (مجلة) المعهد الدولي للفكر والحضارة الإسلامية، كوالامبور، ماليزيا، المجلد ٢، العدد ٢، ١٩٩٧م.

ب) الكتب:

— شعر الصراع مع الروم في العصر العباسي، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٧٣م.

— الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، مكتبة الأقصى، عمان، ط ١، ١٩٧٦م، ط ٢، ١٩٨٢م.

— في النقد الحديث - دراسة في مذاهب نقدية حديثة وأصولها الفكرية، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٧٩م.

— نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب - ابن سعيد الأندلسي - (تحقيق) مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م.

— الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي الجاهلي، دار الفكر، عمان، ١٩٨٥م.

— شرح معلقة امرؤ القيس - أبو الحسن بن كيسان - دار بشير، عمان، ١٩٩٩م. (تحقيق)

— شعر الأمير أمين بشير الشهابي - بطرس كرامة - دار بشير، عمان، ١٩٩٩م. (تحقيق)

— هذا وله ترجمات (بالإنجليزية) لصور منتقاة من القرآن الكريم، وعدد من المحاضرات الدينية، أعدها

أثناء إجازته للتفرغ العلمي في الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا. هذا إلى جانب أعمال غير منشورة

كان ينوي إنجازها، لكن القدر لم يمهل، لعل من أهمها تحقيق شعر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

فضلاً عن بعض القصائد التي نظمها في الستينات من القرن الفائت. وقد ظهر بعضاً منها لأول مرة

بمقال تقريظي لسيرة د. نصرت، كتبه تيسير النجار، بعنوان: "صفحات مطوية من الأدب الأردني -

د. نصرت عبد الرحمن (١٩٣٤-٢٠٠٠م) سيرة وقصائد له تنشر لأول مرة"، في مجلة فيلادلفيا

الثقافية، التي تصدرها جامعة فيلادلفيا، عمان، العدد السابع، أيار (مايو) ٢٠٠٢م. بالجملة، مازالت

هذه الأعمال حبيسة الأدراج، لم ترى النور بعد، لعلها تراه قريباً، على أيدي عارفي فضله علماً وأدباً

وخلقاً وأتمودجاً.

معلماً وإنساناً:-

حقق الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن، شهرة علمية واسعة سواءً في الجامعة الأردنية، وغيرها من الجامعات العربية على امتداد الوطن العربي، بل أبعد من ذلك.. وقد عُرف بمنهجته العلمية الدقيقة (أكاديمية وإدارية) وقد شهد العديد من أهل العلم ممن يقيمون عظيم اعتبار وكبير وزن لمكانته العلمية الأديبة المرموقة، أن كثيراً من طلبة الجامعات تمنوا لو أن الفرص أُتيحت أمامهم لأخذ علوم الأدب واللغة والنقد من معين علمه ووعاء أدبه. أما طلابه الكثر الذين كان لهم أستاذاً وأباً، يفاخرون بأنهم تتلمذوا ودرسوا على يديه، ويعدوه واحداً من الأساتذة الكبار الذي سيقى اسمه عصياً على النسيان، متجدداً في ذاكرتهم على مر الأيام. فحسبه صيتاً حسناً أنه العالم الأديب اللغوي الناقد التربوي، المتخرج من جامعة القاهرة العريقة، في زمنها الجميل خاصة.

لم يحظ د. نصرت بهذه المكانة الأثيرة لدى طلابه وأهل العلم لتضلعه في تخصصه فضلاً عن ثقافته الموسوعية فحسب، بل لتفانيه في الوقت نفسه في أداء واجباته العلمية والإدارية، وفهمه لأبعاد المسؤولية للعلاقة المتميزة بين الطالب وأستاذه، وكان يرحمه الله لا يرضن بوقته الذي وقفه للعلم وطلابه، بأي معلومة يستفيد منها طلبته خاصة، وطلاب العلم عامة. هذا إلى جانب إثراء بحوث الطلبة في جميع المستويات الدراسية (بكالوريوس ودراسات عليا) في الشكل وفي المضمون علماً ومنهجاً والإرشاد إلى أهم المصادر والمراجع التي تثري البحث والباحث. حاملاً أمانة المسؤولية بشفافية مثلى، مقرونة بدماثة خلق وأدب وتواضع جم وسعة صدر وصبر لا ينفد.

يتفق مع هذا السياق، إهداء مكتبته الثرية الضخمة - التي تضم أكثر من ثلاثة آلاف كتاب من أندر وأنفس المصادر والمراجع وثيقة الصلة في تخصصه أو القرية منه، إلى جانب عدد كبير من المخطوطات القيمة - إلى جامعة البترا في عمان، الأمر الذي سيقى اسمه حياً في سجل الخالدين من رموز العلم والعلماء، وتكريماً لهذه الشخصية الفكرية الأديبة المرموقة، فقد أفردت إدارة الجامعة لمكتبته القيمة جناحاً خاصاً في أروقتها، وهي الجامعة التي كان قد أمضى في رحابها بكلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية، إجازته العلمية، أستاذاً زائراً (سنة أكاديمية للتفرغ العلمي) العام الجامعي (١٤١٩/١٤٢٠هـ = ١٩٩٨ / ١٩٩٩م).

وللأمانة والحقيقة ننوه هنا أن د. نصرت كان قد أوصى عشية وفاته (يرحمه الله) بإهداء مكتبته الأثيرة إلى أي جامعة أردنية أو أي مؤسسة علمية أردنية مرموقة خليقة بهذا الكثر الثمين، وارتأت زوجته الجليلة السيدة البكري، يوافقها الأبناء الأفاضل، والصفوة من أهله، أن تؤول هذه المكتبة الغالية إلى جامعة البترا الزاهرة التي تستحقها. وتقديراً لهذه البادرة الكريمة، ولقامة المغفور له د. نصرت العلمية الأديبة السامقة،

أقامت جامعة البترا، حفل تكريم وندوة علمية يوم ٢٠٠٩/١٢/٣، تم فيه افتتاح مكتبة الراحل كما قدم فيه نخبة من الدكاترة الأساتذة الباحثين، أعمالاً ودراسات علمية قيمة تناولت سيرة وأعمال الفقيه د. نصرت على مختلف الصعد الأدبية والنقدية والتحقيقية والإنسانية، وذلك تحت رعاية دولة الأستاذ الدكتور عدنان بدران رئيس الجامعة، وسعادة الأستاذ الدكتور نزار الريس نائب الرئيس للشئون الأكاديمية وعميد البحث العلمي والدراسات العليا، وإشراف وتنظيم قسم اللغة العربية، رئيساً وأعضاء الهيئة التدريسية المعتبرة بالقسم. هذا وتتصدر أعمال هذه الندوة العلمية في كتاب على نفقة الجامعة نفسها، في إطار تكريم هذه الشخصية الوطنية الفكرية الأكاديمية المعروفة.

لقد كان د. نصرت حقاً إنساناً مثالياً بكل ما تعني الكلمة من معنى، ونرى بعضاً من آيات إنسانيته هذه تبدأ من البيت، حيث كان مثال الزوج المخلص لزوجته، والوالد الحنون الرحيم بأبنائه، من ثم ليشمل بإنسانيته محيطه القريب والبعيد، مخلصاً حليماً كريماً حسن النية إلى أبعد الحدود، مع زملائه وأصدقائه ومعارفه، مع من يعرف ومع من لا يعرف يجب للجميع ما يجب لنفسه، يقيم عظيم وزن للقيم الدينية، والتقاليد والأعراف العربية الإسلامية الأصيلة، في مقدمتها صلة الرحم سواء مع خاصة أهله أو عموم أقاربه، لا يفرق بين كبيرهم وصغيرهم، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم. ومن برّه بهم إنفاقه سراً وعلانية على الفقراء منهم، ومساعدة الطلبة الذين لا يقوون على تغطية نفقات دراستهم. وبرّه وإحسانه هذا لم يتوقف بعد غيابه، حيث واصلته زوجته الوفية، وحافظت على نهج زوجها الإنساني الكريم ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً.

لا عجب إذاً أن يعرفه الجميع مهموماً على الدوام بمسؤولياته وواجباته إزاء الأهل والمعارف في مدينة إربد، وضاعف من همه بشأن عائلته وأقاربه في مدينة إربد، كونه مقيم في مدينة عمّان، حيث مقر عمله (الجامعة الأردنية) من أجل هذا الغرض النبيل كان يناشد كعمٍ وفِيّ أبناء وبنات أخيه المرحوم أبو جمال وعلى رأسهم السيدة الفاضلة أم خالد، وضعه في صورة ما يستجد من أحداث تتعلق بشؤون الأسرة، وعموم الأقارب في إربد على الصُعد كافة، حتى لا تفوته المشاركة في المناسبات الأسرية العامة والخاصة، من ثم القيام بواجبه على أحسن وجه. وطالما كان لسان حاله يقول:

" ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلُ بفضلهِ على قومه يُستغنى عنهُ ويذمَم "

من وحي هذا الشعور الشفاف الإنساني النبيل حرص أن يكون قريباً منهم حياً وميتاً، لذلك أوصى (رحمه الله) أن يوارى الثرى في المقبرة الرئيسة لمدينة إربد، بجانب الذين سبقوه - إلى جنات الخلد في الفردوس الأعلى بإذن الله - من خاصة أهله وأقاربه وأحبابه، فكان له ما أوصى. لقد عُرف (رحمه الله)

بطلاقة الوجه، وطيب الكلمة، ورزانة الحكمة، واعتدال في كل شأن من شؤون حياته، فضلاً عن سجية التواضع الجهم، وهي من سجايا وصفات العلماء الأجلاء العاملين.

" ملأى السنابلُ تنحينَ تواضعاً والفارغاتُ رؤوسهنَّ شوامخُ "

يرتقي د. نصرت رتبة إلى صفوة النخب الأدبية والثقافية والإنسانية على مستوى الأردن والبلاد العربية، لكن مع كل هذه النجومية والمكانة العلمية والأدبية العالية لم تخلُ حياته كغيره من أضرابه العلماء الأعلام، من كدرٍ وعناء، فرأيناه في المواقف الصعبة محافظاً على رباطة جأشه وهدوئه، لا عجب في ذلك فقد كان (يرحمه الله) من أصحاب النفوس الرضية، من الذين إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، وكان ظنه في أهله، وناسه المحيطين به عامة خيراً على الدوام.

بالجملة اعتلى أبو صلاح قمم الأخلاق والسلوك الإنساني الرفيع، وعاش أبداً أياً كريماً حراً، كالصقور على الذرى يصغي لهمس القمر، وبقي كأشجار قرينته الوادعة السنديانة، شجرة سنديان ضاربة الجذور وارفة الظلال، لا تقوى عليها العواصف والأعاصير.

الوطن والوطنية في أدب د. نصرت وشعره:-

كان د. نصرت عربياً إسلامياً بامتياز، عاش ومات حاملاً برؤية وطن عربي موحد، وأمة عربية إسلامية واحدة، وشكلت قضية فلسطين قضية العرب والمسلمين الأولى، عنده هماً وطنياً من الدرجة الأولى، هذا ما وشى به شعره:-

" يا راية الأحرارِ هذا يومنا
تقفُ العروبة فيه كالأطوادِ
جعل الإلهُ الاتحادَ عقيدةً
وكذاك نادى أحمدٌ في الضادِ "

وطالما أنشد وهتف:-

من الشامِ لبغدانِ	" بلادُ العربِ أوطاني
إلى مصرَ فتطوانِ	ومن نجدٍ إلى يمنِ
ولا دينٌ يفرقنا	فلا حدٌ يباعدنا
بغسانِ وعدنانِ "	لسانُ الضادِ يجمعنا

ومع حبه الكبير لوطنه العربي وأمتة العربية الإسلامية المحيطة، ظل قلبه مسكوناً بحبه لفلسطين التي تجرع مأساة نكبتها احتلالاً وضياعاً منذ نعومة أظفاره، متفقاً بفطرته مع قول الشاعر:-

" كمّ منزلٍ في الأرضِ يَألفُهُ الفتي " وحينئذُ أبدأ لأوّلِ منزلٍ "

كما كان لسان حاله في حنينه إلى أرضه، لسان حال الأديب الموسوعي خير الدين الزركلي

(١٣١٠ - ١٣٩٦ هـ = ١٨٩٣ - ١٩٧٦ م) الذي أنشد هذه الأبيات الرائعة حنيناً إلى وطنه:-

" العينُ بعد فراقها الوطنَا
ريانةً بالدمعِ أفلَقَها
يا موطناً عبثَ الزمانُ به
عطفوا عليكِ فأوسعوكِ أذىً
لا سَاكناً ألفتُ ولا سَكناً
ألاّ تحس كرى ولا وسناً
من ذا الذي أغرى بك الزمنا
وهم يسمون الأذى مِننا "

لقد حمل د. نصرت - طوال عمره - هم أمته وقضاياها المصرية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، لحكمة القائلة: " قد يكون من السهل نقل الإنسان من وطنه.. ولكن من المستحيل نقل وطنه منه..! " إذاً لا عجب أن تسكن فلسطين في قلبه ووجدانه، لهذا نجده يسخر قلمه دفاعاً عن معشوقته فلسطين

مستلهماً قول الشاعر: " عُذْرٌ لمن ماتَ لا عُذْرٌ لمن سَلِمَا إذا تَهَدَّمَ مجدٌ واستبيحَ حمى
سَيَانِ عندَ ابتناءِ المجدِ في وطنٍ من يَحْمِلُ السَّيْفَ أو من يَحْمِلُ القلما "

وكان (يرحمه الله) على ثقة تامة بالله، ثم بالأمتين العربية والإسلامية، بأنه مهما طال الزمن، لن تكون فلسطين ممراً ولا مقراً لفلول الصهاينة، وإن تضحيات الآباء والأجداد الذين كتبوا تاريخها المجيد بمداد من دمائهم الزكية، وسطروا فيه بطولاتهم وتضحياتهم الخارقة وماثرهم الإنسانية الخالدة، لن تذهب هدرًا، بالتالي ليل فلسطين سينجلي وقيدها سينكسر، لتعود أرضاً عربية خالصة من البحر إلى النهر، بماذنها وكنائسها، بالأقصى والقيامة، بالناصره وعكا، بغزة أرض العزة، ونابلس جبل النار، بمدنها وقراها التاريخية العريقة صفد وبيسان، حيفا ويافا وعسقلان، بوهادها وجبالها بسهولها وصحاريها بتراها برمالها وحصاها بأثمارها وبجارها، بأشجارها وزرعها، فوق الثرى وما تحت الثرى، وسيتحقق (بإذن الله) حلم د. نصرت بالعودة إلى أرضنا إلى بلادنا مهما طال الزمن، هذا ما صدحت به قصيدة من نظمه، منها هذه الأبيات:-

أنظر أصبح ماذا نرى ... غير السلاسل والقيود
وإلى البساط الأخضرِ الوسنانِ دَنَسَهُ اليهودُ
قف أيها الوغدُ اللئيمُ فانتَ في أرضي أنا
لَمَ تسكنُ البيتَ الذي ورثتهُ أحفادُنَا "

ومن قصيدة ييوح فيها بحبه العظيم لأمته العربية وأرضه السليبية فلسطين هذه الأبيات:-

" فدماءُ أبناءِ العروبةِ قد روتُ
أرضي بِخُضْرٍ سهولِها ونجادِ
إن العروبةَ جمّعتْ أشثاتها "

من شَمَّ صنعاءَ إلى بغدادِ
وعلى ثرى يافا زحوفُ جهادي
فيطهرُ القدسَ الشريفَ من العدا
ويُدالُ عهدُ البغي والإفسادِ "

الخاتمة:-

اللافت في سيرة ومسيرة العالم الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن أنه في أعماله من دراسات ومؤلفات متنوعة في مجالات الأدب نثراً وشعراً ونقداً وتحقيقاً، كان نسيج وحده، ولم يحاك في أعماله مؤلفات أهل زمانه من أصحاب الفكر والأدب، ليجعل من نفسه في حياتنا الأدبية الأردنية، ظاهرة إبداعية فريدة تجلت في إضافاته الأدبية النقدية، وتحقيقاته العلمية التي طرح فيها نهجاً أدبياً نقدياً جديداً غير مسبوق، للشعر والتراث الأدبي القديم خاصة. إننا ونحن نكرم اليوم هذا العلم الأردني الكبير علينا أن لا ننسى دوره الريادي في خدمة الأدب الأردني خاصة والأدب العربي عامة، وأقل ما يمكن أن نفعله اليوم تخليداً لذكراه، إعادة طبع كتبه التي أصبحت في معظمها نافذة - وهي المؤلفات التي لا غنى عنها للباحثين والدارسين والمثقفين الأدباء - ونرى في هذا المقام، أن وزارة الثقافة الأردنية - سواء بالتنسيق مع دور النشر التي أصدرتها في طبعتها الأولى أو منفردة - هي الجهة المؤهلة والمؤتمنة على إعادة طبعها، وهي التي دأبت على تكريم أبناء الوطن المبدعين من أهل الفكر والأدب والعلم والقلم. في ضوء هذا كله، فإن د. نصرت وهو قامة أدبية أردنية أكاديمية مرموقة، خليق يمثل هذا التكريم من وزارة الثقافة.

انتقل المغفور له بإذن الله العالم الأستاذ الدكتور نصرت عبد الرحمن (أبو صلاح) إلى رحمة ربه يوم الجمعة بتاريخ (٢٣/٦/٢٠٠٠م) ودفن في مقبرة إربد الرئيسة، وكان في وداعه إلى مثواه الأخير خلق كثير (يرحمه الله).

" ما الفخرُ إلا لأهل العلمِ إنهمُ
وقدرُ كلِّ امرئٍ ما كانَ يحسنهُ
فَفُزُّ بِعِلْمٍ تَعِشَ حَيًّا بِهِ أَبَدًا
على الهدى لمن استهدى أدلاءُ
والجاهلونَ لأهلِ العلمِ أعداءُ
الناسُ موتى وأهلُ العلمِ أحياءُ "

ثبت

بأهم مراجع ترجمته

١. الزيودي، حبيب، "على أرواحهم منا السلام"، في الرأي (جريدة) ٢٧/٦/٢٠٠٠م.
٢. عبد الرحمن، عفيف، الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، دار البكر، ط ١٠، (المنجم الأسطوري ص ١٧١ - ١٩٦) ١٩٨٧م.
٣. عبد الهادي راجي، المجالي، "كان يعلمنا الفضيلة"، في العرب اليوم (جريدة) ٢٨/٦/٢٠٠٠م.
٤. غسان، عبد الخالق، "سلام على من لم يجرح وردة"، في العرب اليوم (جريدة) الملحق الثقافي، (مشارف) ص ٢٣، ٤/٩/٢٠٠٠م.
٥. الفار، مصطفى محمد، "ويغيب نصرت عبد الرحمن"، في الدستور (جريدة) ٢٨/٦/٢٠٠٠م.
٦. محمد، طلمية، "نصرت عبد الرحمن"، في العرب اليوم (جريدة) ٢٧/٦/٢٠٠٠م.
٧. النجار، تيسير، "صفحات مطوية من الأدب الأردني - د. نصرت عبد الرحمن (١٩٣٤-٢٠٠٠م) سيرة وقصائد له تنشر لأول مرة"، في فيلادلفيا الثقافية (مجلة) العدد السابع، عمان، أيار ٢٠٠٢م.
٨. للمزيد عن سيرة نصرت عبد الرحمن، العلمية والعملية، انظر المواقع الإلكترونية (الشبكة العنكبوتية). Google, Hotmail, Yahoo.